المجلس الأول

شَرْحُ ابنِ عَقيل

لِبَهَاءِ الدِّينِ عَبْدِ اللّهِ بن عَبْدِ الرَّحْمن بن عَقِيلٍ

(ت٧٦٩ هـ)

على ألفية

جَمَال الدِّين مُحَمَّدِ بْن مَالِك (ت٦٧٢هـ)

ومعه

منحة الجليل، بتحقيق شرح ابن عقيل

المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد

عَلَّقَ عَلَيْهِ

أَبُو عُمَرَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ نَبِيلِ بْنِ مُحَمَّدِ شَمْسِ الدِّينِ

مُقَدِّمَة

الحَمْدُ لله الدَّاعي إلى بابه، الموفِّق من شاء لصوابِهِ، أنعم بإنزالِ كتابِه، يَشتملُ على مُحكم ومتشابه، فأما الَّذِينَ في قُلُوبهم زَيْغٌ فيتبعونَ ما تَشَابَه منه، وأمَّا الراسخون في العلم فيقولون آمنا به، أحمده على الهدى وتَيسيرِ أسبابِه، وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شَريكَ له شهادةً أرْجو بها النجاةَ مِنْ عقابِه، وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أكمَلُ النَّاس عَملاً في ذهابه وإيابه، صلَّى الله عليه وعلى صاحبه أبي بكرٍ أفْضل أصحَابه، وعَلَى عُمر الَّذِي أعَزَّ الله بِهِ الدِّيْنَ واسْتَقَامَتِ الدُّنْيَا بِهِ، وَعَلَى عثمانَ شهيدِ دارِهِ ومِحْرَابِه، وعَلى عليٍّ المشهورِ بحَلِّ المُشْكِلِ من العلوم وكَشْفِ نِقابه، وَعَلَى آلِهِ وأصحابه ومنْ كان أوْلَى بِهِ، وسلَّمَ تسليماً، أما بعد: فقد كان السلف يعظمون العربية؛ لأنها مفتاح فهم الوحي.

- قال أبو بكر بن أبي شيبة: "تعلَّموا العربية فإنها تزيد في المروءة"

- قَالَ ابن تيمية: (فَإِنَّ نَفْسَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنَ الدِّينِ، وَمَعْرِفَتهَا فَرْضٌ وَاجِبٌ، فَإِنَّ فَهْمَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَرْضٌ وَلَا يُفْهَمُ إِلَّا بِفَهْمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَمَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ ... لِأَنَّ الدِّينَ فِيهِ أَقْوَالٌ وَأَعْمَالٌ، فَفِقْهُ الْعَرَبِيَّةِ هُوَ الطَّرِيقُ إِلَى فِقْهِ أَقْوَالِهِ، وَفِقْهُ السُّنَّةِ فِقْهُ أَعْمَالِهِ» («اقتضاء الصراط المستقيم لِابْنِ تَيْمِيَّةَ (١/٥٢٧، ٥٢٨).

- يَقُولُ الرازي: (لَمَّا كَانَ الْمَرْجِعُ فِي مَعْرِفَةِ شَرْعِنَا إِلَى الْقُرْآنِ وَالْأَخْبَارِ، وَهُمَا وَارِدَانِ بِلُغَةِ الْعَرَبِ وَنَحْوِهِمْ وَتَصْرِيفِهِمْ، كَانَ الْعِلْمُ بِشَرْعِنَا مَوْقُوفًا عَلَى الْعِلْمِ بِهَذِهِ الْأُمُورِ، وَمَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ الْمُطْلَقُ إِلَّا بِهِ - وَكَانَ مَقْدُورًا لِلْمُكَلَّفِ - فَهُوَ وَاجِبٌ» («المحصول لِلرَّازِي (١/٢٧٥).

فأول ما ينبغي لطالب الألفية أن يعتني به: تصحيح النية، فإن العلوم الشرعية لا تُنال بركةُ فهمها ولا ثمرةُ الانتفاع بها إلا بالإخلاص لله تعالى، فينبغي أن يقصد الطالب بتعلم النحو: (فهم القرآن الكريم، وفهم كلام النبي ﷺ وصيانة لسانه من

اللحن، وخدمة علوم الشريعة) فإذا استشعر الطالب شرف هذا العلم هان عليه التعب والمشقة.

وعليه:

– فلما منَّ الله عليَّ بالانتهاء من شرح البداية في علم النحو، والنحو الميسر والتحفة السنية وقطر الندى١، فقد ارتأيت أن أقوم بالتعليق على "ألفية ابن مالك بشرح ابن عقيل" وذلك على النسخة التي فيها الحاشية المسماة بـــ (منحة الجليل، بتحقيق شرح ابن عقيل) للمحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، وذلك أثناء شرحي للكتاب على بعض مَن نُحْسِنُ بهم الظن من طلبة العلم،

– كما أنني استفدت من نسخة دار ابن الجوزي التي حققَها وَضَبَطَها الدكتور: علي بن محمد بن ونيس، بمشاركة الدكتور: هاني محمد الطنطاوي، والاستاذ: نبيل صلاح سليم

١– وإليكم روابط الشرح على اليوتيوب:

رابط شرح البداية في علم النحو

https://youtube.com/playlist?list=PLW_RdzE7AQzLtQTqlkrDKAHMEO2dbEmuH&si=m9IILX4Fb38QGkOY

رابط شرح النحو الميسر

https://youtube.com/playlist?list=PLW_RdzE7AQzIHZs2wFnoPLaxZDVbxQofA&si=YziQU6u6qOKswj2E

رابط شرح التحفة السنية

https://youtube.com/playlist?list=PLW_RdzE7AQzL2HomC_3Ast40zues-tGaF&si=j3HQ1SEUDnQJQJ6M

رابط شرح قطر الندى

https://youtube.com/playlist?list=PLW_RdzE7AQzIUz-m-gk2-QiFKgRHnqCJD8&si=WrhCDyiqWxhQzvG

كما أنني استفدت من كتاب (دليل السالك إلى ألفية ابن مالك) للشيخ: عبد الله بن صالح الفوزان، وغير ذلك من الشروحات والمراجع وسأشير إليها في مواضعها –إن شاء الله تعالى–

– كما أنني استفدت كثيرا من التدريبات والأسئلة التي قام الأزهر الشريف بوضعها على شرح الألفية لطلبة المرحلة الثانوية

وكانت البداية في تسجيل هذه التعليقات ليلة السبت الموافق الخامس عشر من شهر ذي القعدة عام سبع وأربعين بعد الأربعمائة والألف من الهجرة الموافق الثاني من شهر مايو عام ست وعشرين بعد الألفين من الميلاد، وقد ميزت تعليقاتي بقولي في الحاشية "تعليق" وقد وضعت عناوين رئيسية ليسهل الشرح، وكذلك فقرة (اختبر نفسك)

***

وإليكم رَابِطَ محاضراتِ شرح الكتاب عَلَى قناتنا عَلَى اليوتيوب

https://www.youtube.com/playlist?list=PLW_RdzE7AQzI59nQQYVQJt82e2o5CCyme

وليس لي في هذه التعليقاتِ إلا النقلُ والجمعُ من المتقدمينَ والمتأخرينَ هذا وأَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَقْبَلَ مِنِّي هَذَا الْعَمَلَ، وإِنْ كُنْتُ قَدْ أَصَبْتُ فيما فَعَلْتُ –وهذا ما أَرْجُوهُ– فهُوَ من تَوْفِيقِ اللَّهِ لي، وإِنْ كان غيرُ ذلك –وهو من لَوَازِمِ البشر– فهُوَ تَقْصِيرِي وجَهْلِي

أَبُو عُمَرَ/ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ نَبِيلِ بْنِ مُحَمَّدِ شَمْسِ الدِّينِ

شِبِينُ الكَوْمِ – الْمَنُوفِيَّةِ – مصر

مقدمة ضرورية

عشَرةُ مَفَاتِيح للوُصُولِ إِلَى أَلْفِيَّةِ ابْنِ مَالِكٍ بِشَرْحِ ابْنِ عَقِيلٍ[١]

المِفْتَاحُ الأَوَّلُ: فَلْسَفَةُ "الأَلْفِيَّةِ" وَسِيَاقُهَا التَّارِيخِيُّ

أوَّلاً: الأَلْفِيَّةُ مَرْحَلَةُ "التَّمْكِينِ" لَا "التَّأْسِيسِ"

– يَجِبُ عَلَى الدَّارِسِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ مَتْنَ الأَلْفِيَّةِ لَمْ يُوضَعْ لِشَرْحِ بَدِيهِيَّاتِ النَّحْوِ، بَلْ لِتَرْسِيخِ المَلَكَةِ اللُّغَوِيَّةِ، فَإِذَا كَانَتْ "الآجُرُّومِيَّةُ" تُعْطِيكَ "أَصْلَ الجُمْلَةِ"، فَإِنَّ "الأَلْفِيَّةَ" تُعْطِيكَ "تَصَرُّفَاتِ العَرَبِ فِي هَذِهِ الجُمْلَةِ".

– مِثَالٌ: فِي المَرَاحِلِ الأُولَى تَتَعَلَّمُ أَنَّ الفَاعِلَ مَرْفُوعٌ، مِثْلَ: (قَامَ زَيْدٌ) لَكِنَّ ابْنَ مَالِكٍ يَنْتَقِلُ بِكَ إِلَى حَالَاتٍ أَعْمَقَ، مِثْلَ تَقْدِيمِ المَفْعُولِ عَلَى الفَاعِلِ وُجُوباً

ثَانِيًا: جَمْعُ شَتَاتِ القَوَاعِدِ

– تَمْتَازُ الأَلْفِيَّةُ بِأَنَّهَا تَجْمَعُ المَسَائِلَ المَنْثُورَةَ فِي كُتُبِ النَّحْوِ المُطَوَّلَةِ وَتَصُوغُهَا فِي قَوَالِبَ شِعْرِيَّةٍ سَهْلَةِ الحِفْظِ، فَمَا كَانَ يُشْرَحُ فِي صَفَحَاتٍ، يَخْتَصِرُهُ ابْنُ مَالِكٍ فِي بَيْتٍ أَوْ بَيْتَيْنِ.

– مِثَالٌ: مَسْأَلَةُ "تَنَازُعِ العَامِلَيْنِ" (أَيْ عِنْدَمَا يَتَنَافَسُ فِعْلَانِ عَلَى اسْمٍ وَاحِدٍ)، يَجْمَعُهَا فِي قَوْلِهِ:

إِنْ عَامِلَانِ اقْتَضَيَا فِي اسْمٍ عَمَلْ ... قَبْلُ فَلِلْوَاحِدِ مِنْهُمَا الْعَمَلْ

ثَالِثًا: الِاسْتِقْصَاءُ وَذِكْرُ "اللُّغَاتِ" وَ"الفُرُوعِ"

– نَقْصِدُ بِأَنَّهَا "اسْتِقْصَائِيَّةٌ" أَنَّ ابْنَ مَالِكٍ لَا يَكْتَفِي بِالقَاعِدَةِ المَشْهُورَةِ (الَّتِي يَنْطِقُ بِهَا جُمْهُورُ العَرَبِ)، بَلْ يُشِيرُ إِلَى لُغَاتِ القَبَائِلِ الأُخْرَى وَإِنْ كَانَتْ قَلِيلَةً.

– مِثَالٌ (لُغَةُ أَكَلُونِي البَرَاغِيثُ): القَاعِدَةُ الأَصْلِيَّةُ أَنَّ الفِعْلَ لَا يَتَّصِلُ بِهِ ضَمِيرُ جَمْعٍ إِذَا ذُكِرَ الفَاعِلُ الظَّاهِرُ، فَنَقُولُ: (قَامَ الزَّيْدُونَ) لَكِنَّ ابْنَ مَالِكٍ يَسْتَقْصِي لُغَةً أُخْرَى تَقُولُ: (قَامُوا الزَّيْدُونَ)، فَيَقُولُ:

١– هذه المفاتيح أنا أعطيت الفكرة للذكاء الصناعي، وهو صاغها بأسلوبه ثم قمتُ بضبطها وتعديل الأبيات وترتيبها

وَجَرِّدِ الْفِعْلَ إِذَا مَا أُسْنِدَا ... لِاثْنَيْنِ أَوْ جَمْعٍ كَـ "فَازَ الشُّهَدَا"
وَقَدْ يُقَالُ سَعِدَا وَسَعِدُوا ... وَالْفِعْلُ لِلظَّاهِرِ بَعْدُ مُسْنَدُ

خُلَاصَةُ الفَهْمِ:

الدُّخُولُ فِي "شَرْحِ ابْنِ عَقِيلٍ" دُونَ هَذَا التَّصَوُّرِ سَيَجْعَلُ الطَّالِبَ يَشْعُرُ بِالتَّشْتِيتِ بِسَبَبِ كَثْرَةِ "الخِلَافَاتِ" وَ"اللُّغَاتِ"، لَكِنْ حِينَ يَعْرِفُ أَنَّهُ فِي مَرْحَلَةِ اسْتِقْصَاءٍ عِلْمِيٍّ، سَيَفْهَمُ لِمَاذَا يَذْكُرُ الشَّارِحُ هَذِهِ التَّفَاصِيلَ الدَّقِيقَةَ.

المِفْتَاحُ الثَّانِي: فَهْمُ لُغَةِ "النَّاظِمِ" (ابْنِ مَالِكٍ)

أَوَّلًا: الإِيجَازُ الشَّدِيدُ (تَرْكِيزُ القَوَاعِدِ)

– تَمَيَّزَ ابْنُ مَالِكٍ بِقُدْرَةٍ فَائِقَةٍ عَلَى حَشْرِ المَعْلُومَاتِ الكَثِيرَةِ فِي أَلْفَاظٍ قَلِيلَةٍ، وَهَذَا يَتَطَلَّبُ مِنَ الدَّارِسِ التَّأَنِّيَ فِي قِرَاءَةِ كُلِّ كَلِمَةٍ.

– المِثَالُ: قَوْلُهُ فِي تَعْرِيفِ الكَلَامِ:

«كَلَامُنَا لَفْظٌ مُفِيدٌ كَاسْتَقِمْ ... وَاسْمٌ وَفِعْلٌ ثُمَّ حَرْفٌ الْكَلِمْ»

فِي هَذَا البَيْتِ الوَاحِدِ، جَمَعَ ابْنُ مَالِكٍ: (تَعْرِيفَ الكَلَامِ عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ، شُرُوطَهُ، مِثَالاً لَهُ، ثُمَّ أَقْسَامَ الكَلِمَةِ الثَّلَاثَةَ) هَذَا الإِيجَازُ يَجْعَلُ المَتْنَ كَـ "السَّبِيكَةِ" المُرَكَّزَةِ.

ثَانِيًا: الإِشَارَاتُ الخَفِيَّةُ (تَعْرِيفُ المَاهِيَّةِ بِالمِثَالِ)

– مِنْ أَبْرَعِ أَسَالِيبِ ابْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ قَدْ لَا يَشْرَحُ القَاعِدَةَ نَثْرًا، بَلْ يَضَعُ مِثَالاً "ضِمْنِيًّا" دَاخِلَ البَيْتِ يَشْرَحُ القَاعِدَةَ عَمَلِيًّا.

– المِثَالُ: حِينَ تَكَلَّمَ عَنِ الأَسْمَاءِ الَّتِي تَعْمَلُ عَمَلَ الفِعْلِ (أَسْمَاءِ الأَفْعَالِ)، قَالَ:

مَا نَابَ عَنْ فِعْلٍ كَشَتَّانَ وصَهْ ... هُوَ اسْمُ فِعْلٍ وكَذا أَوَّهْ وَمَهْ

هُوَ لَمْ يَقُلْ لَكَ: "هُنَاكَ كذا وكذا...."، بَلْ أَعْطَاكَ مِثَالَيْنِ: (شَتَّانَ) لِلْمَاضِي، وَ(صَهْ) لِلأَمْرِ، لِيُغْنِيَ المِثَالُ عَنِ الإِطَالَةِ فِي الشَّرْحِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ «كَاسْتَقِمْ»، فَهُوَ مِثَالٌ لِلْكَلَامِ، وَفِي نَفْسِ الوَقْتِ هُوَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الفَاعِلَ قَدْ يَكُونُ مُسْتَتِرًا وُجُوبًا.

ثَالِثًا: المَزْجُ بَيْنَ المُصْطَلَحَاتِ (البَصْرِيُّونَ وَالكُوفِيُّونَ)

– ابْنُ مَالِكٍ لَمْ يَلْتَزِمْ بِمَدْرَسَةٍ وَاحِدَةٍ فِي التَّسْمِيَةِ، بَلْ كَانَ يَنْتَقِي لَفْظَ المَدْرَسَةِ الَّذِي يَخْدِمُ "الوَزْنَ الشِّعْرِيَّ" أَوْ يَكُونُ أَكْثَرَ دِقَّةً.

– المِثَالُ: فقد يقال:

يَسْتَخْدِمُ مُصْطَلَحَ (العَطْفِ) وَهُوَ بَصْرِيٌّ، وَأَحْيَانًا يَسْتَخْدِمُ مُصْطَلَحَ (النَّسَقِ) وَهُوَ كُوفِيٌّ.

يُسَمِّي (بَدَلَ الغَلَطِ) بِمُصْطَلَحِ (بَدَلِ الإِضْرَابِ) أَوْ (بَدَلِ الحُدُوثِ).

القَاعِدَةُ الحَيَاتِيَّةُ لِلدَّارِسِ: إِذَا وَجَدْتَ ابْنَ مَالِكٍ يَسْتَخْدِمُ لَفْظًا غَرِيباً عَمَّا دَرَسْتَهُ فِي "الآجُرُّومِيَّةِ"، فَلَا تَظُنَّ أَنَّهُ قَاعِدَةٌ جَدِيدَةٌ، بَلْ قَدْ يَكُونُ مُجَرَّدَ "مُصْطَلَحٍ بصري أو كُوفِيٍّ".

خُلَاصَةُ المِفْتَاحِ الثَّانِي:

إِنَّ لُغَةَ ابْنِ مَالِكٍ فِي الأَلْفِيَّةِ لُغَةٌ ذَكِيَّةٌ، تُخَاطِبُ عَقْلَ الدَّارِسِ وَتَحُثُّهُ عَلَى الِاسْتِنْبَاطِ، فَهُوَ لَا يُعْطِيكَ "السَّمَكَةَ" دَائِمًا، بَلْ يُعَلِّمُكَ "كَيْفَ تَصْطَادُهَا" مِنْ خِلَالِ رَمْزِيَّةِ المِثَالِ وَدِقَّةِ الإِيجَازِ.

تَنْبِيهٌ لِلطَّالِبِ:

«مَنْ لَمْ يَفْهَمْ "إِشَارَاتِ" النَّاظِمِ، غَرِقَ فِي "تَفْصِيلَاتِ" الشَّارِحِ» فَاحْرِصْ عَلَى فَهْمِ البَيْتِ جَيِّدًا قَبْلَ الِانْتِقَالِ لِقِرَاءَةِ مَا قَالَهُ ابْنُ عَقِيلٍ عَنْهُ.

المِفْتَاحُ الثَّالِثُ: شَخْصِيَّةُ "الشَّارِحِ" (ابْنِ عَقِيلٍ)

أَوَّلًا: سِرُّ الِاخْتِيَارِ (لِمَاذَا ابْنُ عَقِيلٍ؟)

لَمْ يَكُنِ ابْنُ عَقِيلٍ الشَّارِحَ الوَحِيدَ لِلأَلْفِيَّةِ، فَقَدْ شَرَحَهَا ابْنُ النَّاظِمِ (ابْنُ مُؤَلِّفِهَا)، وَالأَشْمُونِيُّ، وَابْنُ هِشَامٍ، لَكِنَّ شَرْحَ ابْنِ عَقِيلٍ كُتِبَ لَهُ القَبُولُ المُنْقَطِعُ النَّظِيرِ لِأَنَّهُ "سَهْلٌ مُمْتَنِعٌ"، فَهُوَ يُخَاطِبُ عَقْلَ الطَّالِبِ بِعِيدًا عَنِ التَّعْقِيدِ الصُّورِيِّ الَّذِي قَدْ يَنْفِرُ مِنْهُ الدَّارِسُ فِي بِدَايَةِ طَرِيقِهِ.

ثَانِيًا: قَاعِدَةُ "التَّوَسُّطِ" (لَا غُلُوَّ وَلَا تَقْصِيرَ): يَمْتَازُ ابْنُ عَقِيلٍ بِأَنَّهُ مَنْهَجِيٌّ جِدًّا، وَيَتَجَلَّى ذَلِكَ فِي:

تَرْكِ التَّعْقِيدِ المَنْطِقِيِّ: بَيْنَمَا يَغْرَقُ "الأَشْمُونِيُّ" فِي حَشْدِ الِاحْتِمَالَاتِ العَقْلِيَّةِ وَالتَّفْرِيعَاتِ المَنْطِقِيَّةِ الَّتِي تُشَتِّتُ الذِّهْنَ، نَجِدُ ابْنَ عَقِيلٍ يُرَكِّزُ عَلَى "ثَمَرَةِ القَاعِدَةِ".

الوُضُوحُ فِي العَرْضِ: هُوَ لَا يَمُرُّ عَلَى البَيْتِ مُرُورًا سَرِيعًا كَابْنِ هِشَامٍ فِي "أَوْضَحِ المَسَالِكِ"، بَلْ يُعْطِي كُلَّ جُزْئِيَّةٍ حَقَّهَا مِنَ التَّفْكِيكِ.

ثَالِثًا: خُطُوَاتُ المَنْهَجِ العَقِيلِيِّ (كَيْفَ تَقْرَأُ لَهُ؟): عِنْدَمَا تَفْتَحُ الكِتَابَ، سَتَجِدُ ابْنَ عَقِيلٍ يَسِيرُ وَفْقَ نِظَامٍ هَنْدَسِيٍّ بَدِيعٍ:

تَفْكِيكُ البَيْتِ: يَبْدَأُ بِشَرْحِ كَلِمَاتِ ابْنِ مَالِكٍ وَرَبْطِهَا بِمَعْنَاهَا النَّحْوِيِّ.

تَقْرِيرُ القَاعِدَةِ: يَصُوغُ القَاعِدَةَ نَثْرًا بِأُسْلُوبٍ عَرَبِيٍّ رَصِينٍ وَسَلِسٍ.

عَرْضُ الخِلَافِ: يَذْكُرُ رَأْيَ البَصْرِيِّينَ وَالكُوفِيِّينَ، وَيُوضِحُ مَنْ هُوَ "صَاحِبُ الحَقِّ" فِيهِمَا بِنَاءً عَلَى قُوَّةِ الدَّلِيلِ، لَا بِنَاءً عَلَى التَّعَصُّبِ.

الِاسْتِشْهَادُ: لَا يَتْرُكُكَ دُونَ "بُرْهَانٍ"، فَيَخْتِمُ الفِقْرَةَ بِالشَّاهِدِ الشِّعْرِيِّ الَّذِي قَالَتْهُ العَرَبُ.

أَمْثِلَةٌ تَطْبِيقِيَّةٌ عَلَى أُسْلُوبِهِ:

– فِي بَابِ (الِابْتِدَاءِ): حِينَ يَشْرَحُ قَوْلَ ابْنِ مَالِكٍ: «مُبْتَدَأ زَيْدٌ وَعَاذِرٌ خَبَرْ ... إِنْ قُلْتَ زَيْدٌ عَاذِرٌ مَنِ اعْتَذَرْ»، لَا يَكْتَفِي بِقَوْلِهِ هَذَا مُبْتَدَأٌ، بَلْ يَشْرَحُ لَكَ لِمَاذَا قَدَّمَ ابْنُ مَالِكٍ هَذَا المِثَالَ بِالذَّاتِ، وَيُفَصِّلُ لَكَ أَنْوَاعَ المُبْتَدَأِ (لَهُ خَبَرٌ، أَوْ لَهُ فَاعِلٌ سَدَّ مَسَدَّ الخَبَرِ) بِأَيْسَرِ عِبَارَةٍ.

– فِي بَابِ (الفَاعِلِ): عِنْدَ الحَدِيثِ عَنْ لُغَةِ "تَعَاقُبِ الضَّمَائِرِ"، يَقُولُ: «وَمَذْهَبُ جُمْهُورِ العَرَبِ كَذَا.. وَحَكَى الكِسَائِيُّ لُغَةً أُخْرَى..»، ثُمَّ يَسُوقُ شَاهِدًا قُرْآنِيًّا أَوْ شِعْرِيًّا، مِمَّا يَجْعَلُ المَعْلُومَةَ تَقِرُّ فِي ذِهْنِكَ كَحَقِيقَةٍ لَا كَمُجَرَّدِ نَظَرِيَّةٍ.

خُلَاصَةُ المِفْتَاحِ الثَّالِثِ:

دِرَاسَتُكَ لِـــ "شَرْحِ ابْنِ عَقِيلٍ" هِيَ تَعَامُلٌ مَعَ عَقْلِيَّةٍ مُنَظَّمَةٍ لِلْغَايَةِ، ابْنُ عَقِيلٍ هُوَ "المُرْشِدُ" الَّذِي يُمْسِكُ بِيَدِكَ فِي غَابَةِ القَوَاعِدِ الكَثِيفَةِ، لِيُرِيَكَ مَوَاطِنَ الجَمَالِ وَالقُوَّةِ دُونَ أَنْ يَتْرُكَكَ تَتِيهُ فِي التَّعْرِيفَاتِ الجَدَلِيَّةِ.

نَصِيحَةُ المُحِبِّ:

«مَنْ أَرَادَ فَهْمَ الأَلْفِيَّةِ بِلَا عَنَاءٍ، فَعَلَيْهِ بِـــ "قَاضِي القُضَاةِ"، فَقَدْ جَعَلَ الصَّعْبَ ذَلُولاً، وَالبَعِيدَ قَرِيباً».

المِفْتَاحُ الرَّابِعُ: "الخِلَافُ النَّحْوِيُّ" (البَصْرَةُ وَالكُوفَةُ)

أَوَّلًا: البَصْرِيُّونَ (أَرْبَابُ المَنْطِقِ وَالقِيَاسِ)

تَأَسَّسَتْ مَدْرَسَةُ البَصْرَةِ عَلَى يَدِ "أَبِي عَمْرِو بْنِ العَلَاءِ" وَ"الخَلِيلِ" وَ"سِيبَوَيْهِ". وَفَلْسَفَتُهُمْ تَقُومُ عَلَى أَنَّ اللُّغَةَ "نِظَامٌ مُطَّرِدٌ"؛ لِذَا كَانُوا مَنْهَجِيِّينَ لِلْغَايَةِ.

مَنْهَجُهُمْ: لَا يَضَعُونَ قَاعِدَةً إِلَّا إِذَا سَمِعُوهَا بِكَثْرَةٍ كَاثِرَةٍ مِنْ فُصَحَاءِ العَرَبِ.

مَوْقِفُهُمْ مِنَ الشَّاذِّ: إِذَا وَرَدَ بَيْتٌ شِعْرِيٌّ وَاحِدٌ يُخَالِفُ القِيَاسَ، قَالُوا: "هَذَا شَاذٌّ يُحْفَظُ وَلَا يُقَاسُ عَلَيْهِ".

ثَانِيًا: الكُوفِيُّونَ (أَهْلُ النَّقْلِ وَالِاتِّسَاعِ)

تَأَسَّسَتْ مَدْرَسَةُ الكُوفَةِ عَلَى يَدِ "الرُّؤَاسِيِّ" وَ"الكِسَائِيِّ" وَ"الفَرَّاءِ" وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ كُلَّ مَا نَطَقَتْ بِهِ العَرَبُ هُوَ لُغَةٌ صَحِيحَةٌ يَجُوزُ بِنَاءُ القَوَاعِدِ عَلَيْهَا.

مَنْهَجُهُمْ: التَّوَسُّعُ فِي السَّمَاعِ؛ فَإِذَا وَرَدَ بَيْتٌ وَاحِدٌ بِتَرْكِيبٍ مُعَيَّنٍ، جَعَلُوهُ "قَاعِدَةً" وَأَجَازُوا لِلنَّاسِ النُّطْقَ بِهِ.

مَوْقِفُهُمْ مِنَ الشَّاذِّ: لَا يَعْرِفُونَ كَلِمَةَ "شَاذٍّ" كَمَا يَعْرِفُهَا البَصْرِيُّونَ، بَلْ كُلُّ مَسْمُوعٍ عِنْدَهُمْ "مَقْبُولٌ".

أَمْثِلَةٌ تَطْبِيقِيَّةٌ لِلْخِلَافِ فِي "شَرْحِ ابْنِ عَقِيلٍ":

١. مَسْأَلَةُ (تَقْدِيمِ الخَبَرِ عَلَى لَيْسَ): نَقُولُ: (لَيْسَ زَيْدٌ قَائِماً) فَهَلْ يَجُوزُ أَنْ نَقُولَ: (قَائِماً لَيْسَ زَيْدٌ)؟

البَصْرِيُّونَ: مَنَعُوا ذَلِكَ؛ لِأَنَّ "لَيْسَ" فِعْلٌ جَامِدٌ ضَعِيفٌ لَا يَقْوَى عَلَى تَقْدِيمِ مَعْمُولِهِ.

الكُوفِيُّونَ: أَجَازُوا ذَلِكَ

دَوْرُ ابْنِ عَقِيلٍ: يَسُوقُ لَكَ قَوْلَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، ويرجح....

خُلَاصَةُ المِفْتَاحِ الرَّابِعِ:

حِينَ تَقْرَأُ لِابْنِ عَقِيلٍ، تَذَكَّرْ أَنَّكَ لَسْتَ فِي مَعْرَكَةٍ، بَلْ أَنْتَ فِي "رَوْضَةٍ لُغَوِيَّةٍ" تَتَعَدَّدُ فِيهَا الوُجُوهُ.

إِذَا وَجَدْتَ المَسْأَلَةَ "بَصْرِيَّةً"، فَاعْلَمْ أَنَّهَا طَرِيقُ السَّلَامَةِ وَالفَصَاحَةِ العُلْيَا غالبا

إِذَا وَجَدْتَ المَسْأَلَةَ "كُوفِيَّةً"، فَاعْلَمْ أَنَّهَا فُسْحَةٌ وَرُخْصَةٌ تُفِيدُكَ فِي فَهْمِ بَعْضِ التَّرَاكِيبِ الشِّعْرِيَّةِ الصَّعْبَةِ.

قَاعِدَةٌ ذَهَبِيَّةٌ:

«البَصْرَةُ تُعَلِّمُكَ "النِّظَامَ"، وَالكُوفَةُ تُعَلِّمُكَ "الِاحْتِمَالَ"، وَابْنُ عَقِيلٍ يَجْمَعُ لَكَ بَيْنَ "الحَزْمِ" وَ"السَّعَةِ"».

المِفْتَاحُ الخَامِسُ: عِلْمُ "العِلَلِ النَّحْوِيَّةِ"

أَوَّلًا: النَّحْوُ مَنْطِقٌ وَلَيْسَ رَصَّ كَلِمَاتٍ

- فِي البِدَايَةِ كُنْتَ تَتَعَامَلُ مَعَ النَّحْوِ عَلَى أَنَّهُ حِفْظُ عَلَامَاتٍ فَقَطْ:

الفَتْحَةُ = نَصْبٌ / الضَّمَّةُ = رَفْعٌ / الكَسْرَةُ = جَرٌّ

لَكِنْ عِنْدَمَا تَدْخُلُ فِي دِرَاسَةٍ أَعْمَقَ – مِثْلَ شَرْحِ ابْنِ عَقِيلٍ – تَبْدَأُ تَفْهَمُ: لِمَاذَا اخْتَارَتِ العَرَبُ هَذِهِ الحَرَكَاتِ أَصْلًا؟ وَلِمَاذَا حَذَفَتْ حَرْفًا أَوْ غَيَّرَتْ حَرَكَةً؟

أَيْ تَنْتَقِلُ مِنْ: "مَا القَاعِدَةُ؟" إِلَى: "لِمَاذَا جَاءَتِ القَاعِدَةُ هَكَذَا؟"

مِثَالٌ يُوَضِّحُ فِكْرَةَ "الخِفَّةِ وَالثِّقَلِ": العَرَبُ تُحِبُّ النُّطْقَ السَّهْلَ الخَفِيفَ، وَتَكْرَهُ مَا فِيهِ صُعُوبَةٌ وَثِقَلٌ عَلَى اللِّسَانِ، ومن أمثلة ذلك:

كَلِمَةُ: "يَقُولُ" أَصْلُهَا: "يَقْوُلُ" لَكِنَّ اجْتِمَاعَ السُّكُونِ مَعَ الوَاوِ كَانَ ثَقِيلًا، فَخَفَّفَتِ العَرَبُ النُّطْقَ حَتَّى صَارَتْ: "يَقُولُ"

مِثَالٌ آخَرُ مَشْهُورٌ: فِي النَّحْوِ يَقُولُونَ: الضَّمَّةُ أَثْقَلُ مِنَ الكَسْرَةِ، لِذَلِكَ تَجِدُ العَرَبَ أَحْيَانًا تَمِيلُ إِلَى الكَسْرَةِ لِأَنَّهَا أَخَفُّ، وَلِهَذَا قَالُوا: "هَذَا قَاضٍ" وَلَمْ يَقُولُوا: "هَذَا قَاضِيُ"، لِأَنَّ الضَّمَّةَ عَلَى اليَاءِ ثَقِيلَةٌ، فَحُذِفَتِ اليَاءُ لِلتَّخْفِيفِ.

- مَعْنَى "السَّبَبِ الصَّوْتِيِّ": أَيْ: السَّبَبُ المُتَعَلِّقُ بِسُهُولَةِ النُّطْقِ وَخِفَّتِهِ عَلَى اللِّسَانِ، مِثْلُ: (حَذْفِ حَرْفٍ/ تَسْكِينِ حَرْفٍ/ قَلْبِ حَرْفٍ/ تَغْيِيرِ حَرَكَةٍ) وَكُلُّ ذَلِكَ طَلَبًا لِلْخِفَّةِ.

- مَعْنَى "السَّبَبِ العَقْلِيِّ": أَيْ: أَنَّ العَرَبَ تُرَتِّبُ كَلَامَهَا بِطَرِيقَةٍ مَنْطِقِيَّةٍ مَفْهُومَةٍ، مِثْلُ:

- جَعْلِ الفَاعِلِ مَرْفُوعًا دَائِمًا لِتَمْيِيزِهِ عَنِ المَفْعُولِ.
- تَقْدِيمِ مَا هُوَ أَهَمُّ أَحْيَانًا.
- حَذْفِ مَا يُفْهَمُ مِنَ السِّيَاقِ اخْتِصَارًا.

- مَاذَا سَتُلَاحِظُ فِي شَرْحِ ابْنِ عَقِيلٍ؟ سَتَجِدُ عِبَارَاتٍ مِثْلَ: "اسْتَثْقَلُوا ذَلِكَ" / "فِرَارًا مِنَ الثِّقَلِ" / "طَلَبًا لِلْخِفَّةِ" / "لِئَلَّا يَلْتَبِسَ" / "فَرْقًا بَيْنَهُمَا"

فَهُنَا يَبْدَأُ النَّحْوُ يَتَحَوَّلُ مِنْ: "حِفْظٍ جَامِدٍ" إِلَى: "فَهْمِ طَبِيعَةِ لُغَةِ العَرَبِ وَكَيْفَ يُفَكِّرُونَ وَيَتَكَلَّمُونَ"، وَهَذَا مِنْ أَجْمَلِ مَرَاحِلِ دِرَاسَةِ العَرَبِيَّةِ.

ثَانِيًا: قَوَامِيسُ "الهَنْدَسَةِ النَّحْوِيَّةِ"

سَتَمُرُّ عَلَيْكَ مُصْطَلَحَاتٌ هِيَ "مَفَاتِيحُ التَّعْلِيلِ"، وَمِنْهَا:

- ثِقَلُ الصَّوْتِ وَخِفَّتُهُ: العَرَبُ تَسْتَثْقِلُ الضَّمَّةَ وَالكَسْرَةَ عَلَى (الوَاوِ وَاليَاءِ) المِثَالُ: نَقُولُ: (جَاءَ القَاضِي) وَلَا نَقُولُ: (القَاضِيُ)؛ لِأَنَّ الضَّمَّةَ ثَقِيلَةٌ عَلَى اليَاءِ، فَنَحْذِفُهَا لِلـــ "تَخْفِيفِ".

- كَرَاهَةُ الْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ: اللِّسَانُ العَرَبِيُّ لَا يَنْطِقُ حَرْفَيْنِ سَاكِنَيْنِ مُتَتَالِيَيْنِ لِأَنَّ ذَلِكَ "مُمْتَنِعٌ نُطْقًا"، المِثَالُ: فِي جَزْمِ الفِعْلِ المُعْتَلِّ (لَمْ يَقُلْ)، الأَصْلُ أَنَّهَا (يَقُولُ)، فَلَمَّا دَخَلَ الجَازِمُ سَكَنَتِ اللَّامُ، وَالوَاوُ قَبْلَهَا سَاكِنَةٌ، فَحُذِفَتِ الوَاوُ لِـــ "كَرَاهَةِ الْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ".

- عِلَّةُ "الفِرارِ مِنَ الأَمْثَالِ" (كَرَاهَةُ التَّوَالِي): تَكْرَهُ العَرَبُ تَوَالِي الأَمْثَالِ (أَيْ ثَلَاثَةُ أَوْ أَرْبَعَةُ أَحْرُفٍ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ أَوْ حَرَكَاتٍ مُتَشَابِهَةٍ) لِمَا فِيهِ مِنْ عُسْرٍ عَلَى اللِّسَانِ، الأَثَرُ النَّحْوِيُّ: حَذْفُ نُونِ "الرَّفْعِ" فِي بَعْضِ الحَالَاتِ.

المِثَالُ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {لَتُبْلَوُنَّ}؛ الأَصْلُ (تُبْلَوْنَنَّ)، فَاجْتَمَعَتْ ثَلَاثُ نُونَاتٍ (نُونُ الرَّفْعِ + نُونُ التَّوْكِيدِ الثَّقِيلَةِ)، فَحُذِفَتْ نُونُ الرَّفْعِ لِـ "كَرَاهَةِ تَوَالِي الأَمْثَالِ".

- عِلَّةُ "المُشَاكَلَةِ وَالمُجَاوَرَةِ": أَحْيَانًا تَتَأَثَّرُ كَلِمَةٌ بِحَرَكَةِ الكَلِمَةِ الَّتِي بِجَانِبِهَا وَإِنْ كَانَ حَقُّهَا الإِعْرَابِيُّ مُخْتَلِفًا.

المِثَالُ: قَوْلُ العَرَبِ: (هَذَا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ) كَلِمَةُ (خَرِبٍ) صِفَةٌ لِـ (جُحْرُ) المَرْفُوعَةِ، فَكَانَ الحَقُّ أَنْ تَكُونَ مَرْفُوعَةً، لَكِنَّهَا جُرَّتْ لِـ "مُجَاوَرَتِهَا" لِكَلِمَةِ (ضَبٍّ) المَجْرُورَةِ.

- عِلَّةُ "العِوَضِ" (سَدُّ الفَرَاغِ): إِذَا حَذَفَتِ العَرَبُ حَرْفًا مِنْ كَلِمَةٍ لِلتَّخْفِيفِ، فَإِنَّهَا غَالِبًا مَا تَأْتِي بِـ "عِوَضٍ" عَنْهُ لِيَبْقَى أَثَرُ المَحْذُوفِ.

المِثَالُ: كَلِمَةُ (ابْنٌ) وَ (اسْمٌ) الأَصْلُ فِيهِمَا (بَنَوٌ) وَ (سِمْوٌ)، فَحُذِفَتِ الوَاوُ مِنْ آخِرِهِمَا، وَأُتِيَ بِهَمْزَةِ الوَصْلِ فِي الأَوَّلِ "عِوَضًا" عَنِ الحَرْفِ المَحْذُوفِ فِي الآخِرِ.

- عِلَّةُ "أَمْنِ اللَّبْسِ": تَلْجَأُ العَرَبُ لِقَوَاعِدَ مُعَيَّنَةٍ فَقَطْ لِتَمْيِيزِ المَعَانِي حَتَّى لَا يَخْتَلِطَ مَعْنًى بِمَعْنًى آخَرَ.

المِثَالُ: وُجُوبُ تَقْدِيمِ الفَاعِلِ فِي قَوْلِكَ: (ضَرَبَ مُوسَى عِيسَى) لَمَّا تَعَذَّرَ ظُهُورُ الإِعْرَابِ عَلَى الِاسْمَيْنِ، وَجَبَ تَقْدِيمُ الفَاعِلِ هُنَا لِـ "أَمْنِ اللَّبْسِ"؛ حَتَّى يَعْرِفَ السَّامِعُ الضَّارِبَ مِنَ المَضْرُوبِ بِالرُّتْبَةِ.

أَمْثِلَةٌ تَطْبِيقِيَّةٌ مِنْ شَرْحِ ابْنِ عَقِيلٍ:

- فِي بَابِ (المَمْنُوعِ مِنَ الصَّرْفِ): سَتَعْرِفُ أَنَّ السَّبَبَ فِي مَنْعِ الكَلِمَةِ مِنَ التَّنْوِينِ هُوَ وُجُودُ "عِلَّتَيْنِ" تَجْعَلَانِ الِاسْمَ يُشْبِهُ (الفِعْلَ)، وَالفِعْلُ لَا يُنَوَّنُ، فَحُرِمَ الِاسْمُ مِنَ التَّنْوِينِ لِـ "مُشَابَهَتِهِ لِلْفِعْلِ".

- فِي بَابِ (الإِعْرَابِ التَّقْدِيرِيِّ): سَيُعَلِّمُكَ ابْنُ عَقِيلٍ الفَرْقَ بَيْنَ (الثِّقَلِ) وَ(التَّعَذُّرِ).

التَّعَذُّرُ: فِي (الفَتَى)، لِأَنَّ الأَلِفَ لَا تَقْبَلُ الحَرَكَةَ أَبَداً (اسْتِحَالَةٌ هَنْدَسِيَّةٌ).

الثِّقَلُ: فِي (القَاضِي)، لِأَنَّ اليَاءَ تَقْبَلُ الحَرَكَةَ لَكِنَّهَا "مُرْهِقَةٌ" لِلِّسَانِ.

خُلَاصَةُ المِفْتَاحِ الخَامِسِ:

دِرَاسَةُ العِلَلِ النَّحْوِيَّةِ مَعَ ابْنِ عَقِيلٍ تَجْعَلُكَ "مُهَنْدِساً لُغَوِيّاً" تَعْرِفُ كَيْفَ بُنِيَتِ الجُمْلَةُ، وَلِمَاذَا تَحَرَّكَتْ هَذِهِ الكَلِمَةُ وَسَكَنَتْ تِلْكَ، هَذَا الفَهْمُ هُوَ الَّذِي يَبْنِي عِنْدَكَ المَلَكَةَ الَّتِي تَجْعَلُكَ تَنْطِقُ بِالصَّوَابِ "سَلِيقَةً" لَا "تَقْلِيداً".

قَاعِدَةٌ عَقْلِيَّةٌ:

«مَنْ عَرَفَ "العِلَّةَ" ثَبَتَتْ عِنْدَهُ "القَاعِدَةُ"، وَمَنْ حَفِظَ القَاعِدَةَ بِلَا عِلَّةٍ نَسِيَهَا عِنْدَ أَوَّلِ شُبْهَةٍ».

المِفْتَاحُ السَّادِسُ: مَرْتَبَةُ "الشَّاهِدِ الشِّعْرِيِّ" وَحُجِّيَّتُهُ

أَوَّلاً: الشَّاهِدُ هُوَ "المَحْكَمَةُ"

فِي عِلْمِ النَّحْوِ، لَا يَحِقُّ لِأَيِّ عَالِمٍ (مَهْمَا بَلَغَ عِلْمُهُ) أَنْ يَخْتَرِعَ قَاعِدَةً مِنْ خَيَالِهِ، كُلُّ قَاعِدَةٍ يَذْكُرُهَا ابْنُ مَالِكٍ أَوْ يَشْرَحُهَا ابْنُ عَقِيلٍ هِيَ فِي الحَقِيقَةِ "نَتِيجَةٌ" لِحُكْمٍ صَدَرَ مِنْ كَلَامِ العَرَبِ الأَوَّلِينَ، الشَّاهِدُ الشِّعْرِيُّ هُوَ الَّذِي يَقُولُ لَنَا: «نَعَمْ، العَرَبُ نَطَقُوا بِهَذَا، فَاصْنَعُوا مِنْهُ قَاعِدَةً».

ثَانِيًا: مَا هُوَ "عَصْرُ الِاحْتِجَاجِ"؟

النَّحْوُ لَا يَقْبَلُ أَيَّ شِعْرٍ، بَلْ يَشْتَرِطُ صَفَاءَ المَنْبَعِ، والمَقْصُودُ بِهِ: هُوَ الزَّمَنُ الَّذِي كَانَتْ فِيهِ السَّلِيقَةُ العَرَبِيَّةُ نَقِيَّةً لَمْ تُخَالِطْهَا "عُجْمَةٌ" (تَأْثِيرُ اللُّغَاتِ الأُخْرَى).

الحُدُودُ الزَّمَنِيَّةُ:

الشُّعَرَاءُ الجَاهِلِيُّونَ: (مِثْلُ امْرِئِ القَيْسِ) – احْتِجَاجٌ مُطْلَقٌ.

المُخَضْرَمُونَ: مَنْ أَدْرَكُوا الجَاهِلِيَّةَ وَالإِسْلَامَ (مِثْلُ: حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ).

الإِسْلَامِيُّونَ: إِلَى حُدُودِ سَنَةِ ١٥٠ هِجْرِيَّةٍ تَقْرِيبًا.

مَا بَعْدَ ذَلِكَ: شُعَرَاءُ العَصْرِ العَبَّاسِيِّ (مِثْلُ الْمُتَنَبِّي وَأَبِي تَمَّامٍ) يُسَمَّوْنَ "الْمُوَلَّدِينَ"؛ شِعْرُهُمْ جَمِيلٌ لَكِنَّهُ لَا يُصْلِحُ أَنْ يَكُونَ "دَلِيلاً" لِبِنَاءِ قَاعِدَةٍ نَحْوِيَّةٍ، بَلْ يُسْتَشْهَدُ بِهِ لِلْبَلَاغَةِ فَقَطْ.

ثَالِثًا: لِمَاذَا نَحْفَظُ الشَّاهِدَ؟ (القَاعِدَةُ وَالبُرْهَانُ)

حِفْظُكَ لِلْقَاعِدَةِ نَثْراً قَدْ يَنْسَى، لَكِنَّ الشَّاهِدَ بِمُوسِيقَاهُ وَقَافِيَتِهِ يَبْقَى دَلِيلاً حَيّاً فِي ذِهْنِكَ.

مِثَالٌ تَطْبِيقِيٌّ: القَاعِدَةُ: يَجُوزُ جَرُّ الِاسْمِ بِـــ "رُبَّ" مَحْذُوفَةً بَعْدَ "الوَاوِ"، والشَّاهِدُ (مِنْ مُعَلَّقَةِ امْرِئِ القَيْسِ): (وليلٍ كموجِ البحرِ أرْخَى سُدُولَه ... عَلَيَّ بأنواعِ الهُمُومِ ليَبْتَلِي)

وَجْهُ الِاسْتِشْهَادِ: كَلِمَةُ (لَيْلٍ) جَاءَتْ مَجْرُورَةً، وَالسَّبَبُ هُوَ "رُبَّ" المَحْذُوفَةِ بَعْدَ "وَاوِ الرُّبَّ" هَذَا البَيْتُ هُوَ الَّذِي صَنَعَ هَذِهِ القَاعِدَةَ.

نَصِيحَةٌ لِلطَّالِبِ عِنْدَ ابْنِ عَقِيلٍ: لَا تَمُرَّ عَلَى الأَبْيَاتِ الشِّعْرِيَّةِ سَرِيعاً، بَلْ قِفْ عِنْدَهَا وَتَسَاءَلْ: «أَيْنَ الكَلِمَةُ الَّتِي تُثْبِتُ كَلَامَ ابْنِ مَالِكٍ؟»

قَاعِدَةٌ مَنْهَجِيَّةٌ: «النَّحْوِيُّ بِلَا شَوَاهِدَ كَالْمُحَامِي بِلَا نُصُوصٍ قَانُونِيَّةٍ؛ يَتَكَلَّمُ كَثِيراً وَلَا يَقْتَنِعُ بِهِ أَحَدٌ».

المِفْتَاحُ السَّابِعُ: ضَبْطُ المُصْطَلَحَاتِ الأَوَّلِيَّةِ (الأَسَاسُ الصَّخْرِيُّ)

بِدُونِ هَذِهِ الأَسَاسِيَّاتِ سَيَبْدُو شَرْحُ ابْنِ عَقِيلٍ كَأَنَّهُ طَلَاسِمُ، فَقَبْلَ الدُّخُولِ، تَأَكَّدْ مِنْ إِتْقَانِكَ التَّامِّ لِـــ:

أَوَّلاً: الإِعْرَابُ وَالبِنَاءُ (الحَرَكَةُ وَالسُّكُونُ): هَذَا هُوَ التَّقْسِيمُ الأَكْبَرُ فِي اللُّغَةِ.

الإِعْرَابُ: هُوَ "تَغَيُّرُ" آخِرِ الكَلِمَةِ بِسَبَبِ تَغَيُّرِ مَوْقِعِهَا، الِاسْمُ الْمُعْرَبُ كَالْمَاءِ، يَتَشَكَّلُ بِحَسَبِ الإِنَاءِ (العَامِلِ).

البِنَاءُ: هُوَ "لُزُومُ" آخِرِ الكَلِمَةِ حَالَةً وَاحِدَةً مَهْمَا تَغَيَّرَ العَامِلُ، الِاسْمُ الْمَبْنِيُّ كَالصَّخْرَةِ، لَا تَتَغَيَّرُ مَهْمَا صَدَمَتْهَا الأَمْوَاجُ.

مِثَالٌ تَطْبِيقِيٌّ: كَلِمَةُ (هَؤُلَاءِ) مَبْنِيَّةٌ عَلَى الكَسْرِ دَائِمًا؛ فَنَقُولُ: (جَاءَ هَؤُلَاءِ، رَأَيْتُ هَؤُلَاءِ، مَرَرْتُ بِهَؤُلَاءِ) بَيْنَمَا (زَيْدٌ) مُعْرَبٌ؛ فَنَقُولُ: (جَاءَ زَيْدٌ، رَأَيْتُ زَيْداً، مَرَرْتُ بِزَيْدٍ).

ثَانِيًا: العَلَامَاتُ الأَصْلِيَّةُ وَالفَرْعِيَّةُ (نِظَامُ الِاسْتِثْنَاءِ): الأَصْلُ أَنْ يُرْفَعَ الِاسْمُ بِالضَّمَّةِ وَيُنْصَبَ بِالفَتْحَةِ، لَكِنَّ ابْنَ مَالِكٍ يَهْتَمُّ بِـ "النِّيَابَةِ":

النِّيَابَةُ: أَنْ تَنُوبَ حَرَكَةٌ عَنْ حَرَكَةٍ (مِثْلَ الكَسْرَةِ عَنِ الفَتْحَةِ فِي جَمْعِ المُؤَنَّثِ)، أَوْ يَنُوبَ حَرْفٌ عَنْ حَرَكَةٍ (مِثْلَ الأَلِفِ عَنِ الضَّمَّةِ فِي المُثَنَّى).

لِمَاذَا هِيَ مُهِمَّةٌ؟ لِأَنَّ شَرْحَ ابْنِ عَقِيلٍ يَمْتَلِئُ بِقَوْلِهِ: "وَخَرَجَ عَنْ ذَلِكَ خَمْسَةُ أَبْوَابٍ.." أَوْ "وَنَابَ فِيهِ كَذَا عَنْ كَذَا..".

خُطُورَةُ هَذَا المِفْتَاحِ: إِذَا لَمْ تُتْقِنْ (المُعْرَبَ وَالمَبْنِيَّ) سَتَتَعَبُ جِدًّا فِي "بَابِ الفِعْلِ"، لِأَنَّكَ سَتَحْتَارُ: مَتَى يَكُونُ المَاضِي مَبْنِيًّا؟ وَمَتَى يُعْرَبُ المُضَارِعُ؟ ابْنُ مَالِكٍ يَقُولُ:

«وَكُلُّ حَرْفٍ مُسْتَحِقٌّ لِلْبِنَا ... وَالأَصْلُ فِي المَبْنِيِّ أَنْ يُسَكَّنَا»

هَذَا البَيْتُ يَقْطَعُ لَكَ الشَّكَّ بِاليَقِينِ فِي آلافِ الكَلِمَاتِ دُفْعَةً وَاحِدَةً.

المِفْتَاحُ الثَّامِنُ: إِدْرَاكُ "الضَّرُورَةِ الشِّعْرِيَّةِ"

ابْنُ عَقِيلٍ يَذْكُرُ كَثِيرًا أَبْيَاتًا تُخَالِفُ القَاعِدَةَ، وَيَقُولُ: "هَذَا لِلضَّرُورَةِ".

أَوَّلًا: مَا هِيَ "الضَّرُورَةُ الشِّعْرِيَّةُ"؟ الشِّعْرُ قُيُودٌ وَأَوْزَانٌ، وَالشَّاعِرُ قَدْ يَجِدُ نَفْسَهُ مُحَاصَراً بَيْنَ "قَاعِدَةِ النَّحْوِ" وَبَيْنَ "نَغَمَةِ البَحْرِ الشِّعْرِيِّ" فَإِذَا اضْطُرَّ لِكَسْرِ قَاعِدَةٍ لِيَسْتَقِيمَ الوَزْنُ، سَمَحَ لَهُ النُّحَاةُ بِذَلِكَ، لَكِنَّهُمْ سَمَّوْهَا "ضَرُورَةً".

المِيزَانُ: الضَّرُورَةُ تُقَدَّرُ بِقَدَرِهَا؛ فَمَا جَازَ لِلشَّاعِرِ لَا يَجُوزُ لَكَ فِي كِتَابَةِ مَقَالٍ أَوْ خُطْبَةٍ.

ثَانِيًا: أَنْوَاعُ الضَّرُورَاتِ فِي شَرْحِ ابْنِ عَقِيلٍ: سَتَجِدُ ابْنَ عَقِيلٍ يَقُولُ: "وَهَذَا سَائِغٌ فِي الشِّعْرِ"، وَمِنْ أَمْثِلَةِ ذَلِكَ:

صَرْفُ مَا لَا يَنْصَرِفُ: المَمْنُوعُ مِنَ الصَّرْفِ (الَّذِي لَا يُنَوَّنُ) قَدْ يُنَوِّنُهُ الشَّاعِرُ لِيَضْبِطَ الإِيقَاعَ، المِثَالُ: كَلِمَةُ (أَحْمَدُ) لَا تُنَوَّنُ، لَكِنَّ الشَّاعِرَ قَدْ يَقُولُ: (رَأَيْتُ أَحْمَدًا) لِيَسْتَقِيمَ بَيْتُهُ.

قَصْرُ المَمْدُودِ: أَيْ حَذْفُ الهَمْزَةِ مِنْ مِثْلِ (صَحْرَاء) لِتُصْبِحَ (صَحْرَا).

تَسْكِينُ المُحَرَّكِ أَوْ تَحْرِيكُ السَّاكِنِ: لِأَجْلِ القَافِيَةِ.

ثَالِثًا: خُطُورَةُ الخَلْطِ (تَحْذِيرٌ هَامٌّ): أَكْبَرُ خَطَأٍ يَقَعُ فِيهِ طَالِبُ الأَلْفِيَّةِ هُوَ أَنْ يَظُنَّ أَنَّ كُلَّ مَا وَرَدَ فِي "شَرْحِ ابْنِ عَقِيلٍ" مِنَ الأَبْيَاتِ هُوَ قَاعِدَةٌ يُمْكِنُ اسْتِخْدَامُهَا.

المِفْتَاحُ: إِذَا حَفِظْتَ بَيْتاً فِيهِ (كَسْرٌ لِلْقَاعِدَةِ) وَلَمْ تَعْرِفْ أَنَّهُ "ضَرُورَةٌ"، فَقَدْ تَلْحَنُ فِي كَلَامِكَ وَأَنْتَ تَظُنُّ أَنَّكَ تَسْتَشْهِدُ بِالعَرَبِ.

قَاعِدَةُ ابْنِ عَقِيلٍ: "مَا جَازَ لِلضَّرُورَةِ يُحْفَظُ وَلَا يُقَاسُ عَلَيْهِ"، ومن الأَمْثِلَة:

- فِي بَابِ (المُعْرَبِ وَالمَبْنِيِّ): قَدْ يَسُوقُ ابْنُ عَقِيلٍ بَيْتاً حُذِفَ فِيهِ حَرْفُ جَزْمٍ وَبَقِيَ الفِعْلُ مَجْزُوماً، ثُمَّ يَقُولُ: «وَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ فِي النَّثْرِ».

- فِي بَابِ (النَّعْتِ): قَدْ يَنْعَتُ الشَّاعِرُ المَعْرِفَةَ بِالنَّكِرَةِ، وَهَذَا مُحَالٌ فِي القَاعِدَةِ، لَكِنَّهُ جَازَ هُنَا لِـــ "ضِيقِ الوَزْنِ".

خُلَاصَةُ المِفْتَاحِ الثَّامِنِ: مَعْرِفَةُ الضَّرُورَةِ الشِّعْرِيَّةِ تَجْعَلُ بَصِيرَتَكَ النَّحْوِيَّةَ حَادَّةً؛ فَتَعْرِفُ الفَرْقَ بَيْنَ "اللُّغَةِ العَالِيَةِ" الَّتِي نَزَلَ بِهَا القُرْآنُ، وَبَيْنَ "اللُّغَةِ الِاضْطِرَارِيَّةِ" الَّتِي لَجَأَ إِلَيْهَا الشَّاعِرُ.

نَصِيحَةٌ غَالِيَةٌ: «لَا تَكُنْ كَالَّذِي يَلْبَسُ مَلَابِسَ المُمَثِّلِينَ فِي حَيَاتِهِ العَادِيَّةِ؛ فَمَا يَفْعَلُهُ الشَّاعِرُ عَلَى "مَسْرَحِ القَصِيدَةِ" لَا تَفْعَلُهُ أَنْتَ فِي "وَاقِعِ الكَلَامِ"».

المِفْتَاحُ التَّاسِعُ: الرَّبْطُ بَيْنَ النَّحْوِ وَالمَعْنَى

أَوَّلاً: النَّحْوُ لَيْسَ غَايَةً بَلْ وَسِيلَةٌ: يَظُنُّ البَعْضُ أَنَّ النَّحْوَ يَنْتَهِي عِنْدَ قَوْلِنَا "مَرْفُوعٌ بِالضَّمَّةِ"، لَكِنَّ المَقْصُودَ الحَقِيقِيَّ مِنْ "شَرْحِ ابْنِ عَقِيلٍ" هُوَ الوُصُولُ إِلَى "أَسْرَارِ الكَلَامِ"، النَّحْوُ هُوَ الَّذِي يُحَدِّدُ "مَنْ فَعَلَ؟" وَ"لِمَاذَا فَعَلَ؟"، وَأَيُّ تَغْيِيرٍ فِي مَوْقِعِ الكَلِمَةِ هُوَ تَغْيِيرٌ فِي عَقْلِ المُتَكَلِّمِ وَقَصْدِهِ.

ثَانِيًا: هَنْدَسَةُ "التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ" (لِمَاذَا نُقَدِّمُ الخَبَرَ؟): فِي الأَلْفِيَّةِ، سَتَدْرُسُ مَتَى يَجُوزُ أَوْ يَجِبُ تَقْدِيمُ الخَبَرِ عَلَى المُبْتَدَأِ، هَذَا لَيْسَ لَعِباً بِالكَلِمَاتِ، بَلْ لَهُ أَغْرَاضٌ بَلَاغِيَّةٌ:

التَّشْوِيقُ: حِينَ تُقَدِّمُ الخَبَرَ لِتُشَوِّقَ السَّامِعَ لِلْمُبْتَدَأِ.

الِاخْتِصَاصُ وَالقَصْرُ: كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} فالأَصْلُ (نَعْبُدُكَ)، لَكِنَّ تَقْدِيمَ المَفْعُولِ (إِيَّاكَ) أَفَادَ أَنَّ العِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ دُونَ غَيْرِهِ، لَوْلَا النَّحْوُ لَمَا عَرَفْنَا سِرَّ هَذَا القَصْرِ.

ثَالِثًا: جَمَالِيَّاتُ "الحَذْفِ" (قُوَّةُ المَسْكُوتِ عَنْهُ): سَتَجِدُ فِي شَرْحِ ابْنِ عَقِيلٍ أَبْوَاباً عَنْ "حَذْفِ المِتدَأِ" أَوْ "حَذْفِ الخَبَرِ" الحَذْفُ فِي العَرَبِيَّةِ أَبْلَغُ مِنَ الذِّكْرِ أَحْيَانًا.

المِثَالُ: حِينَ تَرَى قَادِماً فَتَقُولُ: (هِلَالٌ وَاللَّهِ!) فَأَنْتَ حَذَفْتَ المُبْتَدَأَ (هَذَا)، وَهَذَا الحَذْفُ يَدُلُّ عَلَى "السُّرْعَةِ" وَ"تَعْجِيلِ المَسَرَّةِ"، ابْنُ عَقِيلٍ يُقَعِّدُ لَكَ هَذَا الحَذْفَ لِتَفْهَمَ لِمَاذَا جَاءَ النَّصُّ مُخْتَصَراً وَقَوِيّاً.

أَمْثِلَةٌ تَطْبِيقِيَّةٌ تَرْبِطُ النَّحْوَ بِالمَعْنَى:

الفَرْقُ بَيْنَ الفَاعِلِ وَنَائِبِ الفَاعِلِ:

- حِينَ تَقُولُ: (سَرَقَ اللِّصُّ المَالَ)، التَّرْكِيزُ عَلَى "الجَرِيمَةِ وَفَاعِلِهَا".
- حِينَ تَقُولُ: (سُرِقَ المَالُ)، أَنْتَ حَذَفْتَ الفَاعِلَ لِغَرَضٍ بَلَاغِيٍّ (إِمَّا لِلْجَهْلِ بِهِ، أَوْ لِلْخَوْفِ عَلَيْهِ، أَوْ لِأَنَّ المَقْصُودَ هُوَ التَّنْبِيهُ عَلَى ضَيَاعِ المَالِ فَقَطْ).

التَّنْكِيرُ وَالتَّعْرِيفُ:

ابْنُ مَالِكٍ يَقُولُ: «وَنَكِرَةٌ قَابِلُ "أَلْ" مُؤَثِّرَا» سَتَفْهَمُ أَنَّ تَنْكِيرَ الكَلِمَةِ قَدْ يُفِيدُ "التَّعْظِيمَ" (مِثْلَ: لَهُ جَنَّةٌ) أَوْ "التَّحْقِيرَ" النَّحْوُ هُوَ الَّذِي يَرْسُمُ لَكَ حُدُودَ هَذِهِ المَعَانِي.

خُلَاصَةُ المِفْتَاحِ التَّاسِعِ: لَا تَنْظُرْ إِلَى الأَلْفِيَّةِ كَأَنَّهَا "مِيكَانِيكَا" لُغَةٍ، بَلِ انْظُرْ إِلَيْهَا كَأَنَّهَا "كَتَالُوجُ الإِبْدَاعِ" ابْنُ عَقِيلٍ يُفَسِّرُ لَكَ حَرَكَاتِ الأَعْرَابِ لِيُوصِلَكَ إِلَى مُرَادِ قَائِلِ الكَلَامِ.

نَصِيحَةٌ عَمِيقَةٌ: «مَنْ دَرَسَ النَّحْوَ لِيَعْرِفَ (أَوَاخِرَ الكَلِمَاتِ) فَقَطْ، فَقَدْ نَالَ قِشْرَهُ، وَمَنْ دَرَسَهُ لِيَفْهَمَ (أَسْرَارَ المَعَانِي)، فَقَدْ نَالَ لُبَّهُ وَجَوْهَرَهُ».

المِفْتَاحُ العَاشِرُ: أَدَبُ الطَّلَبِ وَمَنْهَجِيَّةُ المُذَاكَرَةِ

أَوَّلاً: الأَلْفِيَّةُ "رِيَاضَةٌ ذِهْنِيَّةٌ": عِلْمُ النَّحْوِ يُشْبِهُ عِلْمَ الرِّيَاضِيَّاتِ؛ فَإِذَا هَجَرْتَهُ نَسِيتَهُ، وَإِذَا أَعْمَلْتَ فِيهِ فِكْرَكَ قَوِيَ ذَكَاؤُكَ، دِرَاسَةُ "شَرْحِ ابْنِ عَقِيلٍ" لَيْسَتْ سِبَاقاً لِإِنْهَاءِ الصَّفَحَاتِ، بَلْ هِيَ تَدْرِيبٌ لِعَقْلِكَ عَلَى التَّحْلِيلِ وَالِاسْتِنْبَاطِ.

ثَانِيًا: سُلْطَانُ التَّكْرَارِ (حِفْظُ المَتْنِ): الأَبْيَاتُ الشِّعْرِيَّةُ فِي الأَلْفِيَّةِ هِيَ "الأَرْشِيفُ" الذِّهْنِيُّ لَكَ.

المَنْهَجِيَّةُ: لَا تَنْتَقِلْ مِنْ بَابٍ إِلَى بَابٍ حَتَّى تَعْرِفَ أَبْيَاتَ البَابِ الأَوَّلِ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ.

الفَائِدَةُ: حِينَ تُسْأَلُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فِي "الفَاعِلِ" بَعْدَ سَنَةٍ مِنَ الآنَ، لَنْ تَتَذَكَّرَ كَلَامَ ابْنِ عَقِيلٍ النَّثْرِيَّ، لَكِنَّ بَيْتَ ابْنِ مَالِكٍ سَيَقْفِزُ إِلَى ذِهْنِكَ فَوْراً لِيُعْطِيَكَ القَاعِدَةَ.

ثَالِثًا: التَّشْجِيرُ (تَحْوِيلُ المَعْلُومَاتِ إِلَى صُوَرٍ): شَرْحُ ابْنِ عَقِيلٍ يَمْتَلِئُ بِالتَّفْرِيعَاتِ (يَجُوزُ، يَمْتَنِعُ، يَجِبُ) الدِّمَاغُ البَشَرِيُّ يَحْفَظُ "الأَشْكَالَ" أَسْرَعَ مِنَ "النُّصُوصِ".

المَنْهَجِيَّةُ: بَعْدَ فَهْمِ البَابِ، ارْسُمْ شَجَرَةً؛ (مَثَلاً: بَابُ المُبتدأِ ← أَنْوَاعُهُ ← حُكْمُ تَقْدِيمِهِ ← وُجُوباً/جَوَازاً).

الفَائِدَةُ: التَّشْجِيرُ يَكْشِفُ لَكَ "الفَجَوَاتِ" فِي فَهْمِكَ؛ فَإِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ رَسْمَ الشَّجَرَةِ، فَأَنْتَ لَمْ تَهْضِمِ الشَّرْحَ بَعْدُ.

رَابِعًا: التَّطْبِيقُ (مَيْدَانُ العَمَلِ): النَّحْوُ دُونَ تَطْبِيقٍ هُوَ "عِلْمٌ مَيِّتٌ" القُرْآنُ الكَرِيمُ هُوَ أَعْظَمُ مَيْدَانٍ لِتَطْبِيقِ مَا تَعَلَّمْتَهُ عِنْدَ ابْنِ عَقِيلٍ.

المَنْهَجِيَّةُ: عِنْدَمَا تَدْرُسُ "نَوَاسِخَ الِابْتِدَاءِ"، افْتَحِ المُصْحَفَ وَابْحَثْ عَنْ (كَانَ وَ(إِنَّ). اسْأَلْ نَفْسَكَ: أَيْنَ الِاسْمُ؟ أَيْنَ الخَبَرُ؟ هَلْ تَقَدَّمَ أَحَدُهُمَا؟

الفَائِدَةُ: هُنَا سَتَشْعُرُ بِـ "لَذَّةِ العِلْمِ"؛ حِينَ تَرَى القَاعِدَةَ الَّتِي حَفِظْتَهَا تَنْبِضُ بِالحَيَاةِ فِي آيَاتِ اللَّهِ.

خَاتِمَةُ المَفَاتِيحِ:

لَقَدِ اسْتَكْمَلْتَ الآنَ المَفَاتِيحَ العَشَرَةَ، إِنَّ دِرَاسَةَ "شَرْحِ ابْنِ عَقِيلٍ" رِحْلَةٌ مُمْتِعَةٌ، تَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ وَنَفَسٍ طَوِيلٍ، قال الأصمعي: "أخطأتُ في بابٍ من النحو فتعلمتُه في سنة"، ومن ظن أن النحو يُنال سريعًا انقطع غالبًا.

تَذَكَّرْ دَائِماً أَنَّكَ بَعْدَ هَذَا الكِتَابِ، لَنْ تَنْظُرَ إِلَى أَيِّ جُمْلَةٍ عَرَبِيَّةٍ كَمَا كُنْتَ تَنْظُرُ إِلَيْهَا مِنْ قَبْلُ؛ بَلْ سَتَرَى فِيهَا نِظَاماً، وَجَمَالاً، وَهَنْدَسَةً بَدِيعَةً.